بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

د. أج ولد محمد ولد أمينوه، الجامعة الإسلامية، العيون، موريتانيا

المقدمة :

الشاذلية إحدى الطرق الصوفية البارزة التي طبقت شهرتها الآفاق مما حدى ببعض المفكرين إلى اعتبارها أما للكثير من الطرق الصوفية القائمة، والمنتشرة في الغرب الإسلامي، وإفريقيا جنوب الصحراء. حيث يرى عبد الكبير العلوي المدغري أن الطريقة التجانية أصلها شاذلية[1]، بل إنه يذهب إلى القول:" إن الطريقة القادرية، وإن كانت عراقية بغدادية، وأقدم من الشاذلية فإن أهل المغرب العربي، ومعظم بلاد إفريقيا إنما أخذوها من طريق علمين من أعلام التصوف بالمغرب، وهما: أبو مدين الغوث، والشيخ أبو محمد صالح الدكالي"[2].

وبصرف النظر عن معقولية هذا الرأي من عدمها فإن التشابه الكبير بين الشاذلية والقادرية أمر لا ريبة فيه، سواء تعلق الأمر بالتقاء الطريقتين في مرجعية واحدة، وهي عبد القادر الجيلاني، أو التشابه في الأوراد، والمسلكيات، فضلا عن خلط المريدين، والمشايخ للطريقتين أخذا، وعطاء دون تحرج أو خشية إخلال بالأدب العام للطريقة، أو خرق لقوانينها، كما كان متبعا في مناهج بعض الطرق[3].

وعلى أية حال فإن هذه الطريقة التي ولدت، وترعرت في بلاد المغرب، كان لها من الشهرة ودوي الصيت ما جعلها تستقل بذاتها، وتكتسح مجالات واسعة على خارطة الغرب الإسلامي، وأجزاء من بلاد السودان، ومصر التي انتشرت فيها بشكل لافت، وما ذاك إلا نتيجة علو همة مؤسسها، وعظم قدره، فمن هو إذن؟ وما هي أهم الشخصيات الشنقيطية التي دخلت في سلك هذه الطريقة؟

المبحث الأول : حياة أبي الحسن الشاذلي وأخبار طريقته

لا نريد من خلال هذا المبحث الإلمام بكل تفاصيل حياة هذا العالم، والشيخ الجليل لأن المقام يضيق عن ذلك، وقد ألفت في ذلك الشأن الكثير من الدراسات، وكتب حوله الكثير بل إنما نوده هنا هو التعريف به، وذكر نبذ من أخباره، وأخبار طريقته لأنه- في نظري- يكون أي موضوع يتحدث عن الشاذلية أجذم، وأبتر إذا كان غير مستهل بذكر حياة أبي الشاذلية، ومؤسسها أبي الحسن الشاذلي.

1. حياة أبي الحسن الشاذلي:

1-1. التعريف به: هو مؤسس الشاذلية الذي تشبثت باسمه فصار علما عليها، واسمه علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب[4] كرم الله وجهه.

ولد أبو الحسن الشاذلي ببلدة غمارة المغربية القريبة من مدينة سبتة، وذلك عام (593ه /1197م)، أكمل دراسته الدينية ببلده، فبرع في مختلف العلوم، حينها تاقت نفسه إلى شيخ مربي يعمق عليه معارفه العلمية، ويأخذ من فيوضات زلاله

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

المعارف اللدنّية. قال ابن عطاء اللـه السكندري مؤكدا تضلع الشاذلي في العلـوم، وجاهزيتـه لأخـذ التـصوف أنـه: " لم يـدخل طريقة القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة"[5]. فلما علم الشاذلي من نفسه ما علـم، جهـز حالـه للـسفر، وتوجـه شطر بغداد التي كانت عهدئذ-أيام العباسيين-عاصمة دار الإسلام، وقبلة العلماء، ورجال الدين، فوصلها الشاذلي، وفيهـا غـشي مشاهير علمائها، وأوليائها أمثال: أبي الفتح الواسطي الذي قال عنه الشاذلي:" ما رأيت بالعراق مثلـه"[6]، وأثنـاء لقـائهما كـشف الشاذلي لأبي الفتح عن موجب الزيارة لكن أبا الفتح ندبه إلى العودة من حيث أتى ليوافي ضالته في بلاد المغرب عند الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش، وقال له متعجبا " تطلب القطب بالعراق، وهو في بلادك؟! أرجع إلى بلادك تجده"[7].

2-1. نتائج لقائه بشيخه: عاد الشاذلي من فوره، وتم لقاؤه مع شيخه عبد الـسلام بـن مـشيش، يقـول الـشاذلي متحـدثا عـن ذلك:" لما قدمت عليه، وهو ساكن مغارة برباطه في رأس الجبل اغتسلت في عين في أسفل الجبل، وخرجت عن علمي وعمـلي، وطلعت عليه فقيرا، وإذا به هابط علي وعليه مرقعة، وعلى رأسه قلنسوة من خـوص، فلـما رآني قـال: مرحبـا بعـلي بـن عبـد اللـه بن عبد الجبار، وذكر لي نسبي إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، ثم قال لي: يا علي طلعت علينا فقيرا عن علمـك، وعملك، وأخذت منا غنى الدنيا والآخرة، فأخذني منه الدهش، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح اللـه عـلى بـصيرتي، ورأيـت لـه خرق عادات وكرامات"[8].

وهكذا أخذ الشاذلي عن ابن مشيش (أو ابن بشيش) الذي وجد فيه بغيتـه، فـصار شـيخه الـذي ينتـسب إليـه إذا سـئل عـن شيخه. وعلى خلفية هذا اللقاء أمر ابن مشيش تلميذه الشاذلي بالرحيل إلى بلدة شاذلة قائلا له:" يا علي ارتحـل إلى إفريقيـة، واسكن بها بلدا تسمى شاذلة، فإن اللـه يسميك الشاذلي"[9]. ثم رسم له معالم الطريق التي يتوجب عليـه سـلكها في المرحلـة اللاحقة بعد إفريقية، وحدد له تونس كمحطة موالية، ثم المشرق[10].

وما كان من الشاذلي إلا أن لبى أوامر شيخه فذهب إلى إفريقية(تونس الحالية)، فبدأ النزول عند شاذلة القريبة من تـونس، والتي اشتهر بها، وعرفت بها طريقته، وهناك اختلى في جبل زغوان المتاخم لشاذلة، وصحبه في رحلته أبـو محمـد عبـد اللـه بن سلامة الحبيبي من أهل بلدة شاذلة[11]. وبعد انصرام أجل هذه الخلوة، توجه الشاذلي إلى مدينة تونس ثاني المراحل المأمور بها سلفا من قبل شيخه ابن مشيش، فأقام بدار مسجد البلاط مع نفر من أتباعه منهم: أبي الحسن علي بن مخلوف الـصقلي، وابن عبد اللـه الصابوني، وأبي محمد عبد العزيز الزيتوني، وغيرهم[12].

ويبدو أن الشاذلي حيكت له مكائد كبيرة من خصومه النـاقمين عليـه إقبـال النـاس نحـوه، ومحبـتهم لـه، ولـيلاً يطـول علينـا الخوض في تلك الأمـور، نـشير إلى أن الـشاذلي رغـم محاولـة خـصومه إيغـار صـدر سـلطان تـونس عليـه، فإنـه تفـوق في كـل الامتحانات، وصارت طريقه نحو التـألق تـسبق خطـاه، فرحـل إلى مـصر، فالحجـاز ليـؤدي فريـضة الحـج، ثـم عـاد قـافلا إلى مصر(عام 642هـ/1244م)، واستقبله أهلها بترحاب، وتكريم عز نظيره، وخصص له السلطان برجـا جعلـه و قفـا عليـه، وعـلى ذريته من بعده، وهو بمثابة الزاوية المركزية للطريقة الشاذلية[13]. ومن هذا المنطلق دوى صيت الشاذلي في عموم مصر، حيث لم يقتصر على الإسكندرية وحدها بل وصل إلى مدن أخرى أمثال: دمنهور، ودمياط، والمنصورة، وغيرهم. وكان الـشاذلي يـتردد على هذه المدن، وخاصة القاهرة التي كان يلقي دروسا في مدرستها الكاملية نـسبة إلى مؤسـسها الكامـل محمـد بـن العـادل

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

الذي أسسها عام: 622هـ/1225م)، وكان هذا المجلس يزدان بحضور كبار الفقهاء، وفطاحلة الشريعة، والتصوف أمثال: الشيخ الجليل العز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، وابن الحافظ المنذري، وابن الحاجب ، وابن الصلاح، وابن عصفور، وغيرهم كثير[14].

3-1. الشاذلي في نظر العلماء: لقد كان الشاذلي من الورع والعلم بمكان أنزله أعظم منزلة؛ لذلك كان ثناء العلماء والصالحين عليه شبه إجماع. يقول فيه ابن عطاء الله السكندري: " إن الشاذلي لم يختلف في قطبانيته ذو قلب منير، ولا عارف...". وقال فيه محمد بن علي القشيري:" ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي"[15]. وقال مغيث الدين الأسمر: " مكثت أربعين سنة يشكل علي الأمر في طريق القوم ... حتى ورد علينا الشيخ أبو الحسن، فأزال كل شيء أشكل علي..."[16].

ويقول عنه شيخ الشيوخ العز بن عبد السلام شهادة ناهيك بها من شهادة يقول بعد استماعه هو وجماعة من أهل العلم أمثال: مجد الدين بن تقي الدين علي بن وهب القشيري، ومحي الدين بن سراقة، ومجد الدين الأخميمي بعد استماعهم إلى تعليق الشاذلي على (رسالة القشيري) يقول ابن عبد السلام:" اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله"[17]. وقال ابن عياد:"جاءت في طريق الله بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب، والمسلك العزيز القريب، وجمع في ذلك بين العلم، والحال، والهمة، والمقال، واشتملت طريقته على الأدب، والقرب، والتسليم، وشيدت بالعلمين الظاهر، والباطن ...، وقرنت بصفات الكمال شرعة وحقيقة"[18].

ولا يمكن أن نأتي بعشر ما قيل في هذا الشيخ، وما هو جدير به وأكثر. أصيب عام (646هـ/ 1248م) بالعمى لكثرة مطالعته لكنه رغم ذلك ظل شيخا مربيا، وعالما مرشدا، وفقيها مفتيا، وإماما داعيا إلى الله، ومؤمنا مجاهدا حتى وافته المنون، وهو في طريقه إلى الحج، في شهر شوال عام (656هـ/ 1258م)، ودفن رحمه الله بـ حميثرا في برية عيذاب بواد على طريق الصعيد بمصر[19].

2- أخبار طريقته:

2-1. مبادئ الشاذلية: تعتبر الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية التي وضعت أسسها على إخلاص العمل لوجه الله جل وعلا، وما يترتب على ذلك من أمور دينية، ودنيوية. يقول عنها ابن عياد:" من تلك التي تياسرت عن صحو يفضي إلى الحجاب، وتيامنت عن سكر يؤدي إلى سوء الأدب، وتسامت عن انقباض يوقع في انكماش، وسوء الظن، ويحجب عن روح الرجاء، ولذاذة الشوق، والطلب، وصانت عن انبساط ينزل بصاحبه عن مقام الاحتشام، والحياء، ويؤول به إلى سوء الأدب[20]".

وكما هو واضح من هذا التعريف فإن الشاذلية نهجت نهجا وسطيا في سلوكها، وأحوالها ليوافق ذلك شرع الله من جهة، ويصادف هوى في نفوس الناس من جهة ثانية، فوضعت ذلك على أسس، ومعايير نجملها في الآتي:

أولا: الإخلاص، ثانيا: التوبة، ثالثا: النية، رابعا: طريق القصد إلى الله تعالى، خامسا: الخلوة، سادسا: الجهاد، سابعا: النفس، ثامنا: الدنيا، تاسعا: العبودية، عاشرا: الطاعات: حادي عشر: الذكر، ثاني عشر: الورع، ثالث عشر: الزهد، رابع عشر: التوكل، خامس عشر: الرضا، سادس عشر: المحبة[21].

وكل واحدة من هذه الأسس تتفرع عنها ملحقات تفسر دلالتها، وتعيّنها في هذا السياق.

بعض ملامح التصوف الشاذلى فى بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

ويضيق مقامنا طبعا عن تناولها بالتفصيل، كل ما يمكننا قوله هو أنه انطلاقا من هذه المبادئ، والأسس تجسدت معاني، وأفكار الطريقة الشاذلية التي ستحدد فيما بعد مسار وردها العام الذي هو أبرز وظائفها.

2-2. ورد الطريقة الشاذلية وأذكارها: للشاذلية كما للطرق الصوفية قاطبة مجموعة من الأوراد، وهي عبارة عن نوع من الواجبات اليومية المتحتمة على كل منخرط في هذه الطريقة، ويهدف هذا الورد إلى إحياء القلب، و تهذيب الروح مما يجعل الحواس الأخرى كلها دائبة في طاعة الله سبحانه وتعالى.

ويتمثل الورد الشاذلي في مجموعة في الأدعية، والأذكار، والأحزاب، والذي يتولى إعطاءه كما أسلفنا هو الشيخ، أو المقدم في الطريقة. ويتوزع الورد الشاذلي على النحو الآتي:

- **الورد العام:** ويقام به في صبيحة كل يوم ومسائه، ويستهلونه بالاستعاذة من الشيطان الرجيم مرة واحدة، ثم البسملة ثلاث مرات بعد ذلك يقرأ المريد قول الله تعالى:﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾[22]. و ذلك مرة واحدة، ثم يقول: أستغفروا الله(99 مرة) ويتمم المائة بـ:أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه"، ويتبع ذلك بقوله تعالى:﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما... ﴾[23] مرة واحدة، ثم يقول:" اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك، ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصبحه وسلم" (99 مرة)، وتمام المائة:" اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصبحه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين".

ثم يقرأ قوله تعالى:" فاعلم أنه لا إله إلا الله"[24].

ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (99 مرة)، وربما يقتصر على " لا إله إلا الله (99 مرة)، ويتمم المائة بـ" لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:" ثم يقرأ الإخلاص مع البسلمة (3 مرات)، ويختمها بالفاتحة (مرة واحدة) ثم يدعو لنفسه، ولأبويه، ولشيخه، ولإخوانه من الفقراء الصوفية، ولجميع المسلمين[25]".

ثم إلى جانب هذا الورد هنالك مجموعة من الأحزاب، وهي عبارة عن حزمة من الأدعية، والابتهالات والتضرعات، غالبا ما تستفتح هذه الأحزاب بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية، وتختم بأدعية مأثورة. وهذه الأحزاب هي:

- حزب البحر: وهو الحزب الذي رتبه الشاذلي لمريدي طريقته يختمونه بعد صلاة العصر.
- حزب الفتح: وسمي بذلك لأنه هو الذي فتح الله به على أبي الحسن الشاذلي، ويسمى أيضا حزب الأنوار.
- حزب البر: وهو الحزب الكبير للشيخ أبي الحسن الشاذلي، الذي قال عنه: "من قرأ حزبنا فله ما لنا، وعليه ما علينا". ووقته بعد صلاة الصبح يلزم المريد الصمت ساعة تلاوته[26].
- حزب الشيخ أبي الحسن: وهو حزب أورده ابن عطاء الله في كتابه (لطائف المنن) بلا تسمية، ووقته مختلف فيه، فمن يرى أنه ساعة الضحى، في حين أن البعض الآخر يحدد وقته بأنه يقرأ في كل أوقات الفراغ[27].

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

- الوظيفة: وهي مزيج بين الصلاة المشيشية، وزيادات أبي المواهب الشاذلي التونسي، وبعض الزيادات الأخرى[28].
- حزب النصر: واختلف في نسبته، أهو لأبي المواهب الشاذلي التونسي؟ صاحب مزج الوظيفة، أم أنه للشيخ أبي الحسن الشاذلي نفسه؟ ومهما يكن من أمر نسبته فإنه يقرأ بنية نصر المسلمين، أو بنية النصر على أعداء المتصوف الواقفين في طريقه نحو ربه، وهم: (الدنيا، الشيطان، النفس، الهوى)[29].

2-3- سند الطريقة الشاذلية: من المعروف أن الشاذلي أخذ التصوف بطريق الخرقة، والتبرك عن طريق سيدي محمد بن علي بن حرزهم، أما طريق الإرادة، والتحكم أي الصحبة، والإقتداء فقد أخذها عن الشيخ عبد السلام بن مشيش[30].

وتتفرع عن هذه الطريقة بعد شيخ ابن مشيش عبد الرحمن الزيات إلى طريقتين: سلسلة العلماء؛ وهي المفضلة عند الشناقطة، وبها يفاخرون ويفخرون[31]، وسلسلة الأقطاب، أو سلسلة الأنوار، أو سلسلة الذهب أو سلسلة العارفين[32].

والمخطط الآتي يوضح ذلك:

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

(السند الشاذلي: سند لبس الخرقة)[33] الشجرة رقم: 1

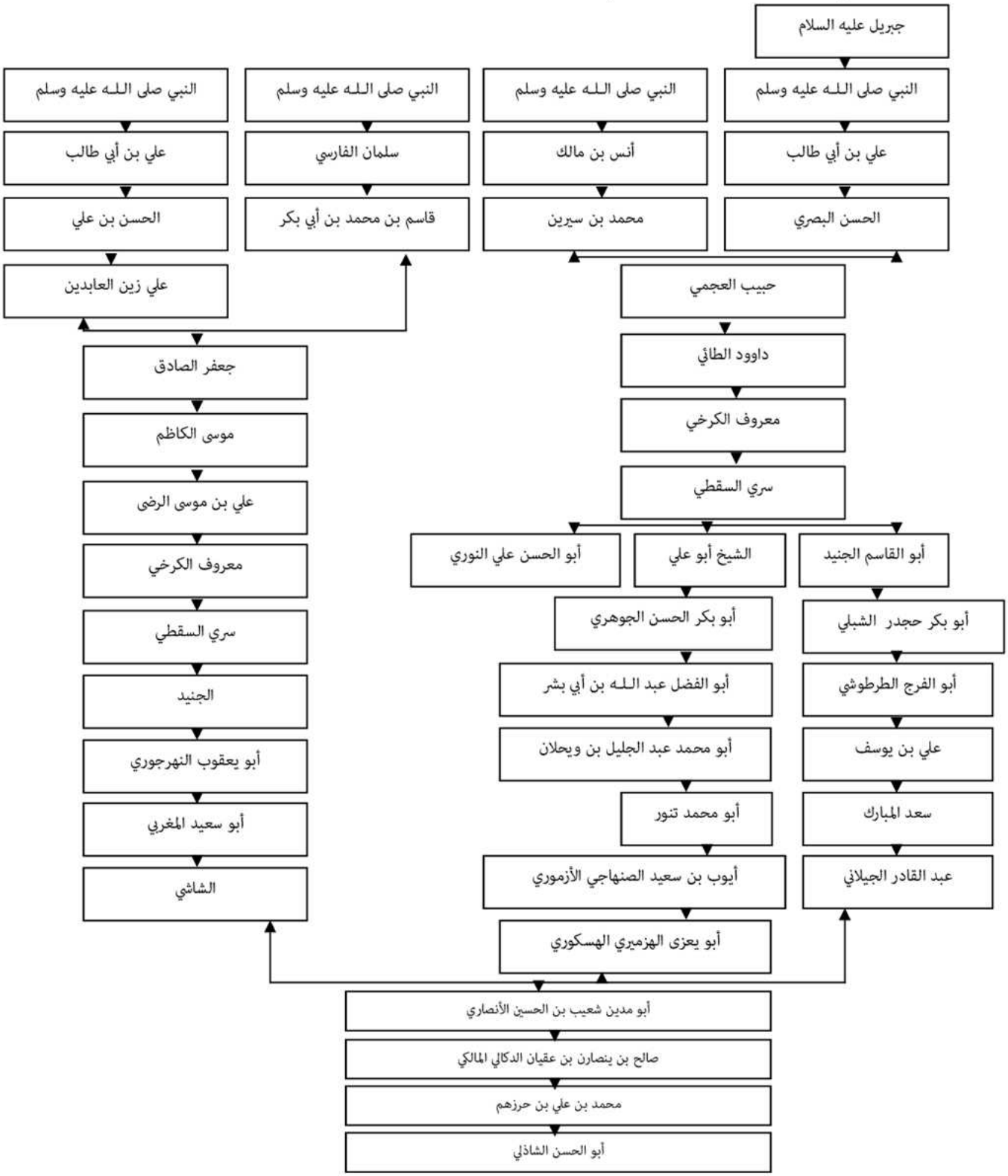

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

(سند الاقتداء والصحبة)[34] الشجرة رقم (2)

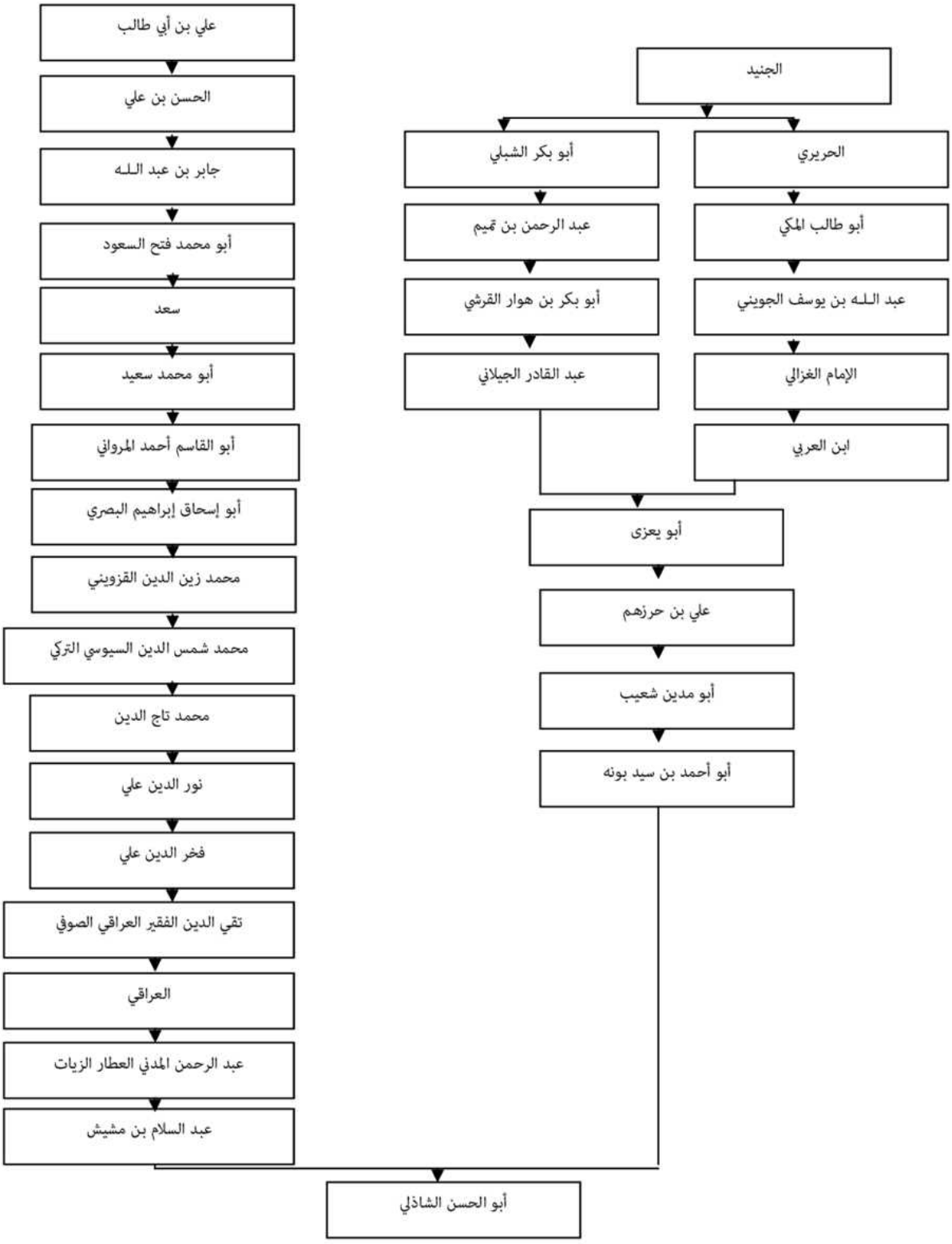

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

المبحث الثاني: الطريقة الشاذلية في بلاد شنقيط

إن ارتباط الشناقطة بالطريقة الشاذلية، وصلتهم بشيوخها ليس معلوم البداية حسبما اضطلعنا عليه من معلومات، ولعل ذلك- في تقديري- راجع إلى شدة التواشج الإسنادي بين الطريقتين الشاذلية، والقادرية، وتقاربهما فكرا ومنهجا من جهة، وعدم وجود كتابات تؤسس لتاريخ دخول الشاذلية إلى بلاد شنقيط، وما سلكته من سبل من جهة ثانية؛ لأن معرفة تاريخ وصول هذه الطريقة سيزيل اللبس عن مساراتها، ويكشف الدثار عن علائق الشيوخ، والمريدين ليس في بلاد شنقيط وحدها، وإنما في مختلف مناكب الصحراء.

وعلى أية حال فإن الطريقة الشاذلية قد عرفها الشناقطة من خلال نتاجها الفكري قبل أن يتصلوا بشيوخها، فكيف كان ذلك؟

1- الحضور الشاذلي في بلاد شنقيط: لقد سطعت أنجم بعض أعلام، ومشايخ الطريقة الشاذلية، وذاع خبرهم في بلاد شنقيط. ومن هؤلاء الصدور نذكر مثلا الشيخ أحمد زروق الفاسي البرنسي (ت: 899هـ/ 1494م)35.

تذكر بعض المصادر أن الشيخ محمد الشنقيطي"[36] أخذ عنه، ولا ندري هل أخذ عنه العلم أم التصوف؟ وشكك أحد الباحثين في هذه المسألة بل يعتبره أمرا غير مؤكد[37] وسواء أخذ الشناقطة عن زروق مباشرة أو بواسطة، أو لم يأخذوا عنه، فإنه مما لا ريب فيه أن مؤلفات هذا الشيخ رائجة، ومتوفرة بين أيدي الشناطقة يقرؤونها، ويتبركون بها، (فالنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية)، و(قواعد التصوف)، و(النصح الأنفع)، و(وظيفة النجا لمن إلى الله التجا)، و(تبيين السبيل)، و(الحكم الزروقية)[38] كل هذه المؤلفات متداولة لدى الشناقطة، حتى إن بعض العلماء كتب حولها شروحا مهمة مثل:

- قصيدة زروق: التي شرحها النابغة الغلاوي بشرح أسماه (أنوار البروق شرح لامية زروق)، كما شرحها غيره.
- النصيحة: وقد شرحها أحمد بن محمد بن زكري.
- الوظيفة: وقد شرحها محمد سالم بن ألما اليدالي شرحا أسماه (المنيفة بشرح الوظيفة)[39]، و غير ذلك كثير.

وقبل الشيخ زروق يتنزل في السياق نفسه اسم محمد بن سليمان الجزولي الذي ظفر الشناقطة بكتابه دلائل الخيرات المسمى: (شوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار)، فقد أعجبوا به أيما إعجاب، وكانوا يتيمنون بقراءته، ويرجون الأجر، والثواب بمداومة ختمه، وأكثر من ذلك أنهم كانوا مبهورين بمنهجه، وطريقته في الأسلوب حيث دأبوا على مجاراته، فنجد أعمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله المحجوبي (ت: 1070هـ/ 1659م) يؤلف تأليفا في الصلاة على النبي (صلعم) على نفس النهج، وللحاج أحمد بن أند عبد الله (ت: 1140هـ/1727م) تعليق على دلائل الخيرات[40].

كما ألف على شاكلتهم سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم منظومته (روض النسرين في الصلاة على سيد الكونين)، ووضع عليها تعليقا، وكذلك الشيخ محمد اليدالي في كتابه (الوسيلة الكبرى)، والشيخ سيدي المختار الكنتي في كتابه (نفح الطيب في الصلاة على النبي الجبيب)...إلخ.

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

ولم يقتصر الشناقطة على ذلك بل إنهم تفننوا في وضع أنظام حول دلائل الخيرات مثل نظم الشيخ محمد المامي بن البخاري لدلائل الخيرات[41].

ولا يمكن حصرها في إطار انكباب أهل شنقيط على المؤلفات الشاذلية والعناية بها، بل ثمة حضور صارخ لا غبار عليه للشاذلية، ولشيخها في الذهنية الشنقطية، سواء تعلق الأمر بالتبرك والمنفعة الدنيوية، أو التقرب إلى الله جل وعلا عن طريق التوسل بهذا الشيخ أو من في مقامه من أولياء، وصلحاء الطريقة.

فقد قال الشيخ اليدالي متوسلا بالنبي (صلعم) وبمجموعة من مشاييخ الطريقة الشاذلية ما نصه[42]:

لي خمسة أطفي بهم	شر الخطوب الحاطمه
خير الأنام وعلي	وابناهما وفاطمه
وخمسة أحفادهم	أولوا الطوايا السالمه
القطب إدريس الذي	له المزايا الدائمه
وابن مشيش نجله	محي القلوب النائمه
والشاذلي تلميذه	ذو المنقبات القائمه
والجيلي من نفسه	في ذي الجلال هائمه
وابن سليمان الجزو	لي ذو المعالي اللازمه
لهم سلام المرتجى	دار السلام الناعمه
بجاههم يا ربنا	جد لي بحسن الخاتمه

وغير بعيد من ذلك ولكنه نثرا نجد عبد القادر الكمليلي الشنقيطي يصول ويجول في إطراء، و تعظيم الشيخ أبي الحسن الشاذلي بقوله: إن " أبا العباس المرسي أخذ عن شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، القطب الرباني العارف الوارث الصمداني، ... الحامل إمامة لواء العارفين، والمقيم في دولة علوم المحققين، كهف الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، ... أوحد أهل زمانه علما، وحالا، ومعرفة، ومقالا الحسيب ذي النسبتين الطاهرتين الروحية والجسمية، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشهادية، والوارثتين الكريمتين الملكية والملكوتية، المحمدي العلوي الفاطمي الحسني ... الإمام أبي الحسن الشاذلي"[43].

ويقول الكمليلي واصفا الطريقة الشاذلية: " وبالجملة فطريق الشاذلية قويم مستقيم لا ينكرها ظاهر ولا باطن، وقد قال بعض العلماء أن للحالف أن يحلف، ولا يستثني أن طريق الشاذلية هي التي كان عليها بواطن الصحابة رضوان الله عليهم"[44].

ولم يكن الشناقطة مجرد محبين للطريقة الشاذلية، وإنما بلغت من أنفسهم مبلغا عظيما، فدخلت جملة معتبرة من رجالات العلم وأصحاب الشأن في مصاف هذه الطريقة، وأخذوا أورادها، لتصبح بذلك الطريقة الشاذلية واحدة من حاضنات التصوف في بلاد شنقيط، فمن هم هؤلاء الأعلام؟

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

2- أبرز أعلام الشاذلية في بلاد شنقيط خلال القرنين 18-19م: ارتبط أعلام الشناقطة بالطريقة الشاذلية عبر حمّى الترحال التي دأب الشناقطة عليها خلال هذه الفترة؛ لأداء فريضة الحج والاستزادة من العلم، ولم يكن هؤلاء العلماء مجرد ناقلين سلبيين متقوقعين على ذواتهم بل إنهم اجتهدوا في إيصال هذه المعارف، والعلوم إلى أبناء جلدتهم ممن لم يسعفهم الزمان في تهيئة أسباب الرحلة. وعلى نحو من هذا وصلت الطريقة الشاذلية إلى بلاد شنقيط، وتم تداولها أخذا وعطاء بين آظار بلاد شنقيط، ذلك ما نود تبيانه من خلال عرضنا لأبرز هؤلاء الأعلام؛ على أن نذر الترجمة لمن سبق وأن ترجمنا له، وسنعرض لهم وفق الترتيب الزمني لوفاة كل واحد منهم.

- **سيدي محمد بن سيدي عثمان (ت: 1132هـ/ 1720م):** سيدي محمد بن سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي، أحد العلماء الأجلاء والأدباء البلغاء، قال عنه البرتلي في فتحه أنه كان:"صدرا من صدور العلماء ومفخرا من مفاخر الأولياء النجباء... نحويا أديبا لغويا... جمع بين العلم الغزير والدين المتين ... بيته بيت علم وصلاح و جلالة، توارثوا ذلك كابرا عن كابر، هو فقيه ولي ابن فقيه ولي ابن فقيه ولي ثلاثة في نسق كلهم فقهاء أولياء..."[45]

وقد اشتغل محمد هذا بطلب العلم منذ صباه، فكان عمدته في ذلك الفقيه الطالب الأمين بن الطالب لحبيب الحرشي (ت: 1166ه/ 1753م) الذي أخذ عليه جل معارفه، ثم رحل بغية الاستزادة من العلم فوصل إلى سجلماسة، ولقي هناك قطبها، بل وقطب زمانه سيدي أحمد الحبيب السجلماسي، وأخذ عنه، وقيل أنه قرأ عليه الشعر[46].

وذكر الخليل النحوي أنه أخذ الورد الناصري عن شيخ الناصرية محمد بن ناصر الدرعي[47]، وهو ربما ارتباك أو خلط وقع فيه النحوي؛ لأن سيدي محمد هذا توفي حسب البرتلي (سنة: 1132هـ) وابن ناصر الدرعي توفي: (1034هـ) لذا من المستبعد أن يكون أخذ عنه، ويبدو فيما ترجح لدينا أنه أخذها عن السجلماسي ولو أنها فاتت البرتلي (صاحب ترجمته) مع أن المختار ولد حامد- وهو مؤرخ معتبر- قد قال كلمة الفصل في هذه القضية حين أكد على أن سيدي محمد بن سيدي عثمان أخذ الطريقة الشاذلية الناصرية عن سيدي أحمد الحبيب السجلمائي[48].

- **سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي (ت: 1145هـ/ 1732م)[49]:** وقد أخذ التنواجيوي الطريقة الشاذلية عن شيخه في علم القرآن والفقه والنحو أحمد الحبيب السجلماسي[50].

- **الحاج القاضي أبو بكر بن الحاج عيسى الغلاوي (ت: 1146هـ/ 1733م)[51]:** كان قد سافر لأداء فريضة الحج، وصحب في رحلته تلك الحاج أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وأخذ عنه الورد، وكان شيخه يقدمه للصلاة[52]، وهو ما يدل على علو منزلته عند شيخه وتقديره لعلمه.

وكان الغلاوي يستعمل التدخين فأمره شيخه الحاج أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي بتركه[53]. كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك.

- المختار المعروف بـ:نختارو بن المصطفى بن محمد سعيد اليدالي (ت: ق 12هـ/ 18م):

وهو عالم جليل من قبيلة أولاد ديمان الشنقيطية المشهورة، و لم نجد معلومات وافية عن تفاصيل حياته سوى أنه أخذ الطريقة الشاذلية عن سيد أحمد الحبيب السجلماسي وعن لقائهما تورد بعض المصادر معلومات مفادها :" أن نختارو خرج قاصدا الحج فلقي أثناء سفره سيدي أحمد المذكور فقال له: لعلك خرجت من دون إذن والدتك، فارجع، فكان من أمره أن

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

صحب هذا الشيخ زمنا، فلما أراد الانصراف إلى أهله قال للشيخ أخبرني عن علامة قرب أجلي، فقال له: اليوم الذي تلقى فيه رديفا مقدّمه في فمه أمارة فقد قرب أجلك، والحال أنك متوجه إلى إدوفال.

وبعد ذلك اتفق الأمر، وقد نسي ما قال له الشيخ من طول العهد، وذهب في شأنه ومشى الرديف حتى أتاه من أمامه، وكان المقدم معتما؛ فأزال عمامته وأراه العلامة التي قال له شيخه في فمه، فتذكر القصة ورجع"[54].

ويبدو أن نختارو هذا هو من أدخل الشاذلية إلى أرض القبلة[55] رغم أننا لم نجد من أخذ عنه هذه الطريقة سوى ابن عمه محمد اليدالي.

- **الطالب محمد بن الطالب عمر الخطاط الأنصاري البرتلي (ت: 1165هـ/ 1752م):** أحد رجالات العلم في ولاته، وأقطاب التصوف بها، قال البرتلي عنه أنه كان: أستاذا فاضلا جليلا، وعالما فقيها متفننا ماهرا في علم أصول الدين، والمنطق، والعروض والقوافي، وله اليد الطولى في العربية، والحساب وعلم السر ...، وأخذ من كل فن بأوفر نصيب، وسهمه في العلوم سهم مسدد مصيب..."[56]

أخذ العلم على جلة من شيوخ بلده، مثل: أبيه عمر بن محمد نض (محمدنا لله) والحاج اند عبد الله الولاتي، والقا ضي عبد الله بن أبي بكر الولاتي، وغيرهم[57].

وترك آثارا منها: مقدمة في التوحيد سماها (جوهرة الإرشاد)، وقصيدة في نقل الهمز، ونظم في الحيض وشرحه، وله أجوبه في الفقه، وشرح في ثلاث ورقات على أربعة أبيات لبعض المتصوفة... إلخ[58].

أما التصوف-الذي هو مربط الفرس- فقد أخذ الطريقة" الغازية الناصرية، ووردها عن شيخه سيدي أحمد بن محمد عمر من بني علي بن عبد الله، ثم من بني عيسى بن محمد ثم من بني حماد، ثم التساييت الشهير بالتواتي عن سيد أحمد بن عبد القادر، عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي..."[59]

- **الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الحرشي (ت: 1166هـ/ 1753م):**

أحد الفقهاء المتمكنين، والعلماء المتفنين في فن التدريس، كما أشار إلى ذلك البرتلي في الترجمة الوافية التي عقد له، يقول: أنه كان " من أولياء الله تعالى ... غاية في علم التوحيد ومعرفة رسالة (ابن أبي زيد القيرواني) ، لم ير مثله فيها، ولا سمع به في بلاد التكرور مع الشفقة على المتعلم، والرأفة به، والصبر على التعليم. يقرئ عقيدة السنوسي المعروفة بأم البراهين، والرسالة قراءة بحث وتحقيق، ويقرئ المقدمة، وصغرى السنوسي، وإضاءة الدجنة، ومنظومة الجزائري، و دليل القائد..."[60]

أخذ عن أجلة شيوخ بلده أمثال: الطالب عمر بن محمد نض البرتلي، ووالده الطالب الوافي، والحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي، وغيرهم كثير[61].

وتتملذ عليه جم غفير أمثال: سيدي عثمان بن عمر الولي، ومحمد بن علي، والقاضي أند عبد الله الولاتي... إلخ.

وقد وصلت إليه الشاذلية عن طريق شيخه السيد أحمد بن عمرو الشهير بالتواتي، الذي أخذ عنه أوراد الطريقة الشاذلية، ودرس عليه حكم ابن عطاء الله السكندري[62].

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أح ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

- **محمد بن المختار بن محمد بن سعيد اليدالي (ت: 1166هـ/ 1753م)[63]:**

وقد أخذ الشاذلية عن شيخه وابن عمه نختارو بن المصطفى[64]، كما ألمعنا بذلك في معرض حديثنا عن تلامذة نختارو.

- **عمر بن محمد البرتلي أبو حفص الخطاط (ت: 1196هـ/ 1782م):**

فقيه عالي الكعب، ومدرس ناجح يقول ابن عمه البرتلي في ترجمته له: أنه كان رحمه الله " فقيها نحويا تقيا سنيا أديبا ورعا، من العلماء العاملين والفقهاء المتقدمين، يقرئ الرسالة، ومختصر خليل؛ فكان يقرئ المختصر قراءة تحقيق، وكثر تلاميذه فيه حتى ربما بلغوا المائة"[65]. وقد وضع على (مختصر خليل) طرة تداولها طلاب العلم بإعجاب[66].

أما التصوف فلم يكن فيه من الدونية بمكان فقد رحل في طلبه إلى قطب زمانه أحمد الحبيب السجلماسي، وصادف مقدمه انقطاع الشيخ في خلوته مدة لم يستقبل فيها أحدا؛ لكنه بمجرد أن وافاهم خرج الشيخ إليه "وقال له: ارجع إلى أهلك فقد قضيت حاجتك..."[67].

وعندئذ رجع إلى أهله وقد غمرته نفحات شيخه السجلماسي، فصارت له كرامات عديدة.

- **سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي (ت: 1233هـ/ 1818م)[68]:**

لقد أمضى هذا الهرم العلمي- إن جازلنا هذا التعبير- فترة في فاس، وهناك إلى جانب ما تلقاه من معارف، أخذ الطريقة الشاذلية ولكنه كان يضن بإعطاء أورادها إلا لمن درس أحكام الشرع[69].

- **الطالب أحمد بن اطوير الجنة الحاجي (ت: 1265هـ/ 1849م)[70]:**

أخذ هو الآخر الشاذلية عن شيخه ابن الحاج إبراهيم العلوي حسب ما ذكره الباحث محمذن بن المحبوبي[71]، وهذا ليس مستبعدا لأن ابن اطوير الجنة صحب ابن الحاج إبراهيم فترة تربو على العشرين سنة، ذكر هو بنفسه أنه تفضل الله عليه " بعلوم فاس من قريب وأنا-والقول له- لم أتعب إلى فاس"[72]، فلربما يكون أخذ عنه الشاذلية ضمن ما أخذ عنه. وإذا كان ابن اطوير الجنة يصرح في رحلته بأن شيخه أبو عبد الله محمد بن عبد الله التوزيني[73] فإن ذلك لا يقدح في الطرح الذي اعتبرناه آنفا، فقد يكون أخذ عن الاثنين معا أو جدد أخذه الأوراد عن الشيخ التوزيني، وقد يكون إيراده للسند الشاذلي بهذه الصيغة " تولى الطريقة الناصرية شيخنا العالم العلامة الولي الصالح العارف بالله سبحانه عز وجل سيدنا أبو عبد الله محمد بن سيدنا عبد الله التوزيني..."[74] إلى آخر السند قد يكون ذلك ذكرا لأشياخ شيخه، وتعريفا بسند طريقته. وسواء أخذ ابن اطوير الجنة الطريقة الناصرية عن أحد الشيوخ المغاربة، أو عن شيخه الشنقيطي فإنه صار واحدا من مشاييخها خاصة في منطقة ودان وما حولها.

- **محمذن فال بن متالي التندغي (ت: 1287هـ/ 1870م):**

فقيه متمكن، و لغوي وصوفي مشهور يقول عنه ابن الأمين في(الوسيط) بأنه:" علامة نبيل أذعنت العلماء لعلمه، وتضلع كثير من الزوايا من معينه"[75]. ورغم ما وصل إليه ابن متالي من نبوغ معرفي فإن المصادر التي ترجمت له لا تذكر له شيوخا أخذ عنهم بالمفهوم الدقيق للكلمة، خلا بعض الصلات العلمية الطفيفة التي ربطته ببعض رجالات العلم أمثال: المؤيد بن مصيوب الكمليلي، الذي أراد تعلم الآجرومية عليه، ولكن الشيخ اشتغل عنه بتدريس غيره، فلم يكن منه إلا أن رجع مكسور

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

الخاطر يجأر بالبكاء والعويل، وهناك " فتح اللـه عليه دفعة واحدة، ورجع إلى أهله، وشاع خبره، وانثال إليه النـاس وأقبلـت عليه الدنيا"[76].

وقد ترك آثارا علمية منها (كتاب فتح الحق) في الفقه، ومنظومة وشرحها في الأصول، و(نظم أنساب العرب)، و(شرح الأربعـين النووية)، و(تسديد النظر في شرح مختصر السنوسي)... إلخ. ويبدو أن التصوف وصـله عـن طريـق الإلهـام أيـضا، حيـث أخـذ الطريقة الشاذلية عن رجل من قبيلة تندغة الشنقيطية يدعى ابن عفان، ولا نعرف أي شيء عن هذا الرجـل، سـوى مـا يقـال بأن ابن متالي لقيه في العالم الروحاني، كما يقول ابن المحبوبي في نظم السلسلة الناصرية[77]:

ونجل متالي عن العفاني أخذه في العالم الروحاني ومهما يعنّ أمامنا من استفهامات حيال هذا النوع من الوسائط فإن سـند ابن متالي في الطريقة الشاذلية الناصرية يعتبر الآن المصدر شـبه الأوحـد في منطقـة القبلـة، حيـث لم تعـد لهـا طريـق أخـرى معروفة السند[78].

- **المختار بن ألما اليدالي: (ت: 1307هـ/ 1890م):**

فقيه فذ وصوفي كبير، حلاه تلميذه أحمد بن الأمين قائلا:"هو العالم الوحيد ذو الرأي السديد، و الجود العتيـد، بـرع في النحـو والعربية، وله اليد الطولى في الفقه والبيان والمنطق..."[79]

وقد قرأ على نخبة من أساطين العلم في بلده أمثال: محمد فال ولد متالي التندغي، ومحنض بـاب ولـد أعبيـد الـديماني، وعبـد الودود بن عبد اللـه الحيبلّي وغيرهم.

ألف هذا الفقيه في ميادين عديـدة ومـن مؤلفاتـه: (سـيول الأنهـار في علـم الليـل والنهـار)، و(القـول المعـرب في بيـان وقـت المغرب)، و(نظم لأهل الصفة)، ...إلخ[80].

وكان-رحمه اللـه- من أقطاب الطريقة الشاذلية الناصرية الذين نشروها، وقد أخذها عن شيخه محمـذن فـال ولـد متـالي[81].

وما يعرف اليوم من هذه الطريقة تمر أغلب أسانيده بالمختار هذا عن طريق تلميذيه أحمـد بـن أجمـد، ويحظيـه ولـد عبـد الودود[82].

- **باب بن محمذن بن حمدي الحاجي (ت: 1316هـ/ 1898م):**

يوصف بأنه شيخ جليل بارع في التدريس، وإمام حضرة صوفية مشهور، عقد له الكملـيلي ترجمـة وافيـة أشـاد فيهـا بفـضله، وعلـو قـدره يقـول فيهـا: " قطـب زمانـه، ووحيـد أوانـه، حامـل لـواء الـشريعة والحقيقـة، القـائم بوظـائف التعلـيم وآداب الطريقة..."[83]

أخذ عن شيوخ بلده أمثال: والده، وعمه باب ولد حمدي، ومحنض باب بن أعبيد الديماني، و محمذن فال ولد متالي... إلخ[84].

ترك آثارا غزيرة منها: (سلم الوليد)؛ وهو نظم في التوحيد ورسالة في العقيدة تعرف باسم:(عقيـدة بـاب ولـد حمـدي)، وشرح على باب الفرائض من (مختصر خليل)، وشرح على(إضاءة الدجنة)، ونظم السلسلة الشاذلية... إلخ.

بعض ملامح التصوف الشاذلى فى بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

وقد أورد الكمليلي سنده في الشاذلية مؤكدا أن شيخه باب بن محمذن بن حمدي تلقى السند الشاذلي عن طريق زايد المسلمين التاشدبيتي عن حمدي بن الطالب أجود عن سيد أحمد الحاج التمكلاوي عن سيد أحمد بن الحبيب السجلماسي[85]... إلى آخر السند.

وبهذا ننهي الحديث حول هؤلاء الأعلام الشناقطة الذين نشروا الطريقة الشاذلية الناصرية في بلادهم، وما جاورها من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، وتفرعت منها عدة زوايا، ومراكز حيث صارت كل واحدة من هذه القبائل لها مركز خاص بها يحمل اسمها، ومن خلاله تشع تعاليم الطريقة على أهل تلك الناحية، مثل: مركز بارتيل، ومركز إدوداي، ومركز تندغة، ومركز إدوا الحاج، ومركز إدواعلي، ومركز الغظف...إلخ[86].

وفي تقديري أن وجود حضرات صوفية، ومراكز لتعليم التصوف الشاذلي، بهذا الشكل يوحي بترسخ الطريقة الشاذلية، وقوة التعاطي معها داخل مختلف نواحي بلاد شنقيط، لكنها حسب تعبير أحد الباحثين أخذت في الانحسار عندما بدأت طلائع المد التجاني تبرز للعيان حيث "أحتلت مكانها بين السكان ابتداء من نهاية القرن 13هـ/ 19م، وبداية القرن 14هـ/ 20م"[87].

ويحسن بنا أن نختم بالمخطط الآتي، والذي يبين فروع السند الشاذلي الناصري في بلاد شنقيط.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

(شجرة الطريقة الشاذلية الناصرية في بلاد شنقيط)[88].

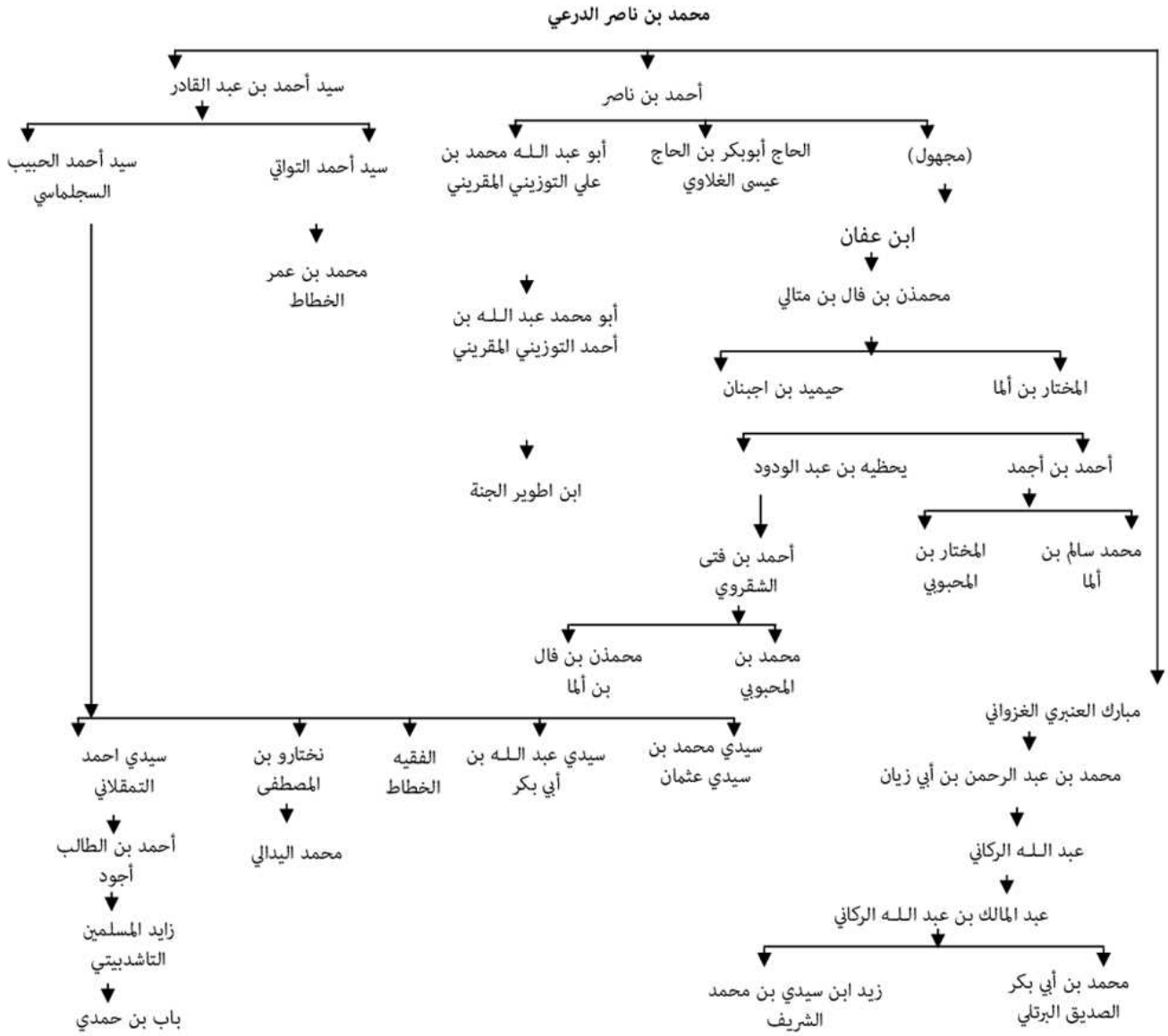

بعض ملامح التصوف الشاذلي في بلاد شنقيط

ولد أمينوه ، أج ولد محمد

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

الخاتمة

هكذا تمكنت الطريقة الشاذلية من الانتشار والتوسع داخل مجالات رحبة من بلاد شنقيط رغم هيمنة الطريقة القادرية وقوة التشابه الحاصل بينها وبين الطريقة الشاذلية والزحف الكاسح للطريقة التجانية فيما.

والذي يشد الانتباه في هذا المقام هو أن الطريقة الشاذلية اختلفت عن الطريقتين القادرية والتجانية وذلك أن معظم أتباعها من النخب العالمة فقلّ أن تجد مريدا شاذليا من دهماء الناس وعوامهم، كذلك لم تتموقع هذه الطريقة في جهة بعينها ولم تتكئ على ظهير اجتماعي ولا عصبية بذاتها بل ابذعرت وطار صيتها في آفاق بلاد شنقيط كلها شمالا وشرقا وغربا ودخل في سلكها مختلف القبائل يشهد على ذلك المراكز المختلفة التابعة لها ووجود علماء مصدّرين ومقدمين في الطريقة ينشرون العلوم والمعارف، ويبثون أوراد الشاذلية وفكرها ليس داخل بلاد شنقيط وحدها بل في مناطق شاسعة من إفريقيا جنوب الصحراء.

ويعد السند الناصري الدرعي هو السند الأكثر انتشارا بين أتباع الطريقة الشاذلية في بلاد شنقيط، ومن خلاله تمكن العلماء الشناقطة من خلق صلات كبيرة مع أتباع الطريقة الشاذلية في بلاد الغرب الإسلامي ومصر، ويبدو أنها علاقة ذات طابع علمي أكثر منه روحي.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

الهوامش:

1- عبد الكبير العلوي المدغري، مصادر العلوم في الفكر الصوفي، د د: 1993، ص 18.

وهذا القول يتنافى تماما وما يقوله التيجانيون عن أنفسهم بدء بمؤسسهم إلى آخر قائمة رجالاتهم الذين نشروا الطريقة؛ وهو أنها من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا واسطة، مع أن المدغري لم يعط أي دليل على قوله حتى إنه لم يحيل على مصدر لنجد له بعض القرائن، ولعله يقصد تشابه الطريقتين في بعد المنازع الفكرية، والأساليب التربوية أو أنه يقصد أن جل أصحاب التجانية كانوا شاذليين.

2- نفسه، الصفحة ذاتها.

3- كانت بعض الطرق تحرم على أصحابها أخذ ورد غير وردها، مثل التجانيين.

4- أحمد بن محمد بن عياد الشافعي، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، د د، 1412-1992، ص 9-10.

5- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، ط1، دار الكتب، القاهرة:1968، ص 20.

6- محمد أحمد بن درنيقة، الطريقة الشاذلية وأعلامها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د د:1410-1990 ، ص14

7- أحمد بن آكاه، الروافد الأندلسية المغربية في التصوف الشنقيطي، الشاذلية نموذجا، شهادة الدراسات العليا المعمقة، جامعة سيد محمد بن عبدالله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر مهراز، فاس:2006-2007، ص 32.

8- ابن عياد، م . س، ص 12-13. وعبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة، م. س، ص 23. وأخذ الشاذلي كذلك عن ابن حرزهم لكن أخذه عن ابن مشيش كان أشهر.

9- ابن عباد الشافعي، المفاخر العلية، م. س، ص 23.

10- نفسه، الصفحة ذاتها.

11- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، م. س، ص 31-32. ويفصل في أسباب هذه الخلوة.

12- ابن عباد الشاذلي، المفاخر العلية، م. س، ص 25.

13- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية، م. س، ص35.

14- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، م. س، ص64.

15- ابن عطاء الله السكندري. لطائف المنن، ص75.

16- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، م. س، ص18.

17- نفسه، ص 18-19.

18- ابن عياد الشافعي، المفاخر، م. س، ص 5.

19- نفسه، ص 47-49.

20- ابن البراء، المجموعة الكبرى، مج1، ص 303.

21- قد فصل في هذه المبادئ والأسس: أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية، م. س، ص 41-53.

22- سورة المزمل، الآية20.

23- الأحزاب، الآية56.

24- محمد، الآية 19.

25- أحمد ولد أكاه، الروافد الأندلسية المغربية، م. س، ص 53-54.

26- عبد الحليم محمود، المدرسة الشاذلية، م. س، ص 175-179، وص 191-200. وقد فصل في هذه الأحزاب، وذكر ما يقرأ فيها.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

27- ابن عطاء اللـه السكندري، لطائف المنن، ص 199-201. وقد فصل فيه و ذكر ما يقرأ فيه.

28- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية، م. س، ص 56.

29- نفسه، ص 57. وقد تعرض إلى هذه الأحزاب بشيء من التفصيل من الصفحة 54-57.

30- نفسه، الصفحة ذاتها.

31- البرتلي، فتح الشكور، ص205-206. محمد سالم ولد المحبوبي، منظومة سلسلة الناصرية، ص 25.

32- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية، م. س، ص 57.

33- جاء في خلاصة الأثر قال:" الصلاح من القرب لبس الخرقة"، وفي حديث أم خالد الذي اعتمده بعض المشاييخ كدليل على لباسها قالت:" أتى النبي صلى اللـه عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: ائتوني بأم خالد فأتي بها قالت: فألبسنيها بيده، وقال: أبلي وأخلقي". محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 444-445. و قد ناقش قضية لبس الخرقة.

34- اعتمدت على ما نقله أحمدو ولد أكاه: الروافد الأندلسية المغربية في لتصوف الشنقيطي، ص58-59 حيث عقد تراجما لأبرز الأعلام الواردين في هذه السلسلة، وقارنته بما أورده البرتلي في فتح الشكور، ص 205. ومحمد سالم بن المحبوبي، نظم السلسلة الشاذلية.

35- أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق إمام كبير، وفقيه عالم جليل، وصوفي زاهد ذو صلاح وكرامات. رحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائه. ترك آثارا علمية غزيرة منها: شرحين على (رسالة القيرواني)، وشرح على (مختصر خليل)، وشروح عديدة على (حكم ابن عطاء اللـه)، وشرحين على حزب البحر في التصوف، و(النصيحة الكافية لمن خصه اللـه بالعافية)، و(قواعد التصوف)، و(إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين) ،... إلخ، توفي رحمه اللـه بمصراته من أعمال طرابلس.

أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 84 وما بعدها. ومخلوف، شجرة النور الزكية، ص 267-286.

36- لم نتمكن من حصول معلومات عنه.

37- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندليسة المغربية ، ص 98.

38- هذه المؤلفات موجودة في بعض المكتبات الخاصة، كما أنها محفوظة لدى المعهد الموريتاني للبحث العلمي.

39- خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط ؛عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة(المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إسيسكو)، (تونس : 1987)،ص520.

40- نفسه، ص 519.

41- محمدن بن المحبوبي، <<التواصل الثقافي بين المغرب وبلا شنقيط>>، ص 323.

42- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية، م. س، ص 67.

43- عبد القادر الكمليلي، المواهب العندية في المناقب المحمدية، مخطوط، بحوزة محمذن ولد المحبوبي، ورقة 13-14.

44- نفسه، الورقة 16-17.

45- البرتلي، فتح الشكور، ص 121.

46- نفسه، الصفحة ذاتها.

47- الخليل النحوي، المنارة والرباط، ص122.

48- المختار ولد حامد، الحياة الثقافية، ط1، الدار العربية للكتاب، (تونس-طرابلس:1990)، ص 93.

49- أحد الأعلام المشهورين عمل الرحلة كغيره من العلماء فنزل بساحة أحد أبرز علماء عصره، وهو أحمد بن حبيب اللمطي السجلماسي. الذي قرأ عليه القرآن بمختلف فنونه يقول عنه البرتلي:"وقرأ عليه السبع بل وأزيد من السبع ...، وقرأ كثيرا من الفنون والفقه والنحو وغيرهما، وأتى

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

بخزانة نفيسة فوجد الناس يلحنون في القراءة ويصحفون في الحروف فأزال اللحن و التصحيف عنهم، ولاسيما مسألة الجيم المشهورة. البرتلي، فتح الشكور، ص209.

50- المختار ولد حامد، الحياة الثقافية، ص93.

51 - أحد الأعلام البارزين، مر في رحلته بالمغرب، ولقي بها عالمها المشهور الحاج سيد أحمد بن سيد محمد بن ناصر الدرعي فأخذ عنه، وصحبه إلى الحج سنة: 1121هـ/ 1710م، وكان يقدمه للصلاة. للتوسع في ترجمته ينظر: البرتلي: فتح الشكور، ص 75. أبحيده ولد الشيخ يربانه، أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق، ، ط1، دار النشر الدولي، (الرياض:2009)، ص 216-217.

52- البرتلي، فتح الشكور، ص75.

53- نفسه، الصحفة ذاتها.

54- أحمدو ولد آكاه الراوفد الأندلسية المغربية في التصوف الشنقيطي، ص 129. ورغم ما تحويه هذه المعلومات من طابع الكشف والخوارق، فقد أوردناها لإثراء الموضوع من جهة، وجلاء الغموض عن الصلة بين الرجلين من جهة ثانية.

55- محمد اليدالي(شيم الزوايا-أمر الولي ناصر الدين- رسالة النصيحة) تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، د- د: 1990، ص 144، الهامش 134 ويذكر أنه مر بأحمد بن ناصر الدرعي إبان مقفله من الحج، وأمضى معه سنة، لكن ما ترجح لدينا هو أخذه عن السجلماسي.

56- البرتلي، فتح الشكور، في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق:محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي ، ط 2، دار الغرب الإسلامي،(بيروت : 2007)، ص 127. وقد ترجم له ترجمة وافية يقول في بدايتها معرفا به:" البرتلي نسبا، الولاتي وطنا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الشاذلي طريقة".

57- البرتلي، نفسه، الصفحة ذاتها.

58- نفسه، ص 128.

59- نفسه، ص 127. وذكر البرتلي هذه السلسلة حتى يوصلها بسند سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ص 127-128 ويخلص إلى أنه نقل هذا السند من خط المترجم.

60- البرتلي، فتح الشكور، ص 64.

61- نفسه، ص 66-67.

62- نفسه، ص66.

63- محمد بن المختار بن محمد بن سعيد بن المختار بن عمر بن علي بن يداج خامس الرجال الذين كونوا حلف تشمش المشهور، وهو علامة مشهور، ومؤرخ وأديب، وشاعر فذ، توفي سنة: 1166هـ /1753م، ترك الكثير من المؤلفات منها هذا الكتاب(وهو شيم الزوايا، أمر الولي ناصر الدين، رسالة النصيحة)، وقد جمع هذه الموضوعات الثلاثة محمذن ولد باباه وحققها. لمعرفة المزيد عن حياة اليدالي، وكتابه هذا: راجع مقدمة التحقيق، ص19-54. وقد ذكر في ثنايا هذا الكتاب الكثير من أولياء الله الصالحين، وعدد منهم طائفة..

64- الشيخ محمد اليدالي، (شيم الزوايا، أمر الولي ناصر الدين، رسالة النصيحة) ، م. س، ص144، الهامش 134. ويقول اليدالي في رثائه لشيخه نختارو قصيدة رائعة يقول فيها:

خطب أعار لقلبي الهم والقلقا — وأودع المقلتين الدمع والأرقا

من رزء مختارنا ابن الفاضل انفتقا — في الدين فتق فاعظم بالذي انفتقا

واختل للدين شمل كان منتظما — به بدر الهدى من فقده محقا

قد كنت أسطو على ريب الزمان به — غضبا وأدفع عين كل ما طرقا

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

لهفي على لوذعي ذي ندى وتقى	وهمة تملأ الأفكار والحدقا
وذي معارف ربانية وهدى	وهمة علت العيون والأفقا
فتاح ما انغلقا، مفتاح ما انطبقا	رتاق ما انفتقا، رقاع ما انخرقا
حلو الشمائل تاج العارفين ومن	بحر الحقيقة ربي القلب منه سقا
علما الحقيقة والشريعة اجتمعا	له فأضحى يربي من به التحقا
بذول مال مصون العرض طاهره	جالي دجنة ليل الشك إن غسقا

65- البرتلي، فتح الشكور، ص 185.

66- المختار ولد حامد، الحياة الثقافية، ص9.

67- البرتلي، فتح الشكور، ص 186.

68- سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام العلوي (قبيلة إدوعلي) أحد العلماء الكبار الذين ملئوا الدنيا وشغلوا الناس يقول عنه ابن الامين، الوسيط، ص 38:"... علامة تحرير، طار ذكره وانتشر وأشتهر علمه في الآفاق وابذعر، ما عاصره مثله علما وفهما". وقال فيه الخضر بن ما يابى الجكني ".. هو سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ذي العلم العميم والذوق السليم..." وأعطته العلوم بأزمتها فصار من علماء أئمتها، حاو جميع الفنون، كثير الشروح والمتون..." ابن الأمين، الوسيط، ص 39. من تآليفه مراقي السعود وشرحه، نشر البنود على أصول الإمام مالك رضي الله عنه، ونور الأقاح، وشرحه فيض الفتاح (وهو في علم البيان) وطلعة الأنوار؛ (نظم في مصطلح الحديث وشرحه كذلك ... إلخ). راجع عنه ابن الأمين في الوسيط، ص37-40، والتجاني ولد عبد الحميد، سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم بين مقتضيات الأحوال في المجال ودوافع الرغبة في التجديد وسد الفراغ، ط1، المطبعة الوطنية، انواكشوط:2010، ص101-154.

69- الخليل النحوي، المنارة و الرباط، ص122. ومن تلامذة سيدي عبد الله نذكر الشريف أحمد الولي المغربي، ويبدو أنه مغربي قدم إلى ناحية تكانت (ولاية بالشمال الموريتاني) فلقي هناك سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ودرس عليه، وانتفع بعلومه الظاهرة والباطنة. ويذكر أن أحمد الولي تتلمذ في المنام على السبعة الرجال المذكورين في مراكش (سبعة رجال) قال محمد محمود بن سيدي عبد الله: "فإن الولي الميت لا يأخذ عنه الحي حتى يتغير شكل الحي وهيئته، كما فعل بالطالب أعمر ولد أعل السيد حين أخذ عن شيخه الإمام الحضرمي في قبره، وكما فعل بالشريف أحمد الولي المعروف من شيخه المعروف من السبعة الرجال". محمد محمود ولد سيد عبد الله الدر الخالد، مخطوط، الورقة 15.

وبصرف النظر عن إمكان حدوث هذه المسألة من عدمه فإن هذا الرجل اتصل فيما يبدو بسيدي عبد الله في بعض جولاته السياحية فأدخله خلوة الأربعين حتى صار من كبار الطريقة، فقدمه بعد التأهيل ليتولى أمر تسليك المريدين نحو الطريق وإرشادهم إلى سبيلها، وبقي على هذه المهمة فترة حتى توفي شيخه عندئذ توجه الشريف أحمد إلى ولايته لعصابة (الوسط الموريتاني) وكان حيا رحمه الله في القرن 13هـ/ 19م. التجاني ولد عبد الحميد، سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم، ص 190.

70- أحد العلماء الأجلاء، والزهاد الناسكين الأتقياء، يقول عنه المحجوبي: " كان عفيفا فاضلا سنيا، وصولا للرحم كثير الصدقة والمعروف، حسن الخلق والخلق، حج بيت الله الحرام، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، كان قائم الليل يعمره بالعبادة ... إلخ". أخذ عن شيوخ أجلاء في بلاده أمثال: محمد فال بن امباريكي الشمشوي، وسيد عبد الله بن الجاح إبراهيم الذي لازمه 22 سنة حتى صار من العلماء المتمحضين، والأشياخ المربين، والفقهاء المؤلفين. ترك آثارا عديدة منها:(رسالة فيض المنان في الرد على مبدعة آخر الزمان) وهذه الرحلة المسماة (تاريخ ولد اطوير الجنة)، ومدونة ضخمة من الفتاوى والأحكام ... إلخ. انظر المحجوبي، منح الرب الغفور، م. س، ص183.الأول.

71- محمذن ولد المحبوبي، أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط، ص 162.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406

72- الطالب أحمد بن اطوير الجنة الحاجي، رحلة المنى والمنة، مخطوط، ص 86-87.

73- نفسه، ص 71.

74- نفسه، االصفحة ذاتها.

75- أحمد بن الأمين، الوسيط، ص 343.

76- نفسه، ص 344. ومع ذلك نجد ابن البراء يذكر أنه درس على أحمد بن العاقل الديماني، وعلى باب بن حمدي بن المختار بن الطالب أجود الحاجي فضلا عن الشيخ المذكور ابن مصيوب الكمليلي. ابن البراء، المجموعة الكبرى، مج2، ص278.

77- محمد سالم بن المحبوبي، منظومة السلسلة الناصرية، ص 20.

78- ذلك ما أورده يحيى بن البراء، في المجموعة الكبرى، مج 2، ص 278. ويقصد بالقبلة جنوب غرب بلاد شنقيط.

79- ابن الأمين، الوسيط، ص239. وقد ترجم له ترجمة وافية.

80- الخليل النحوي، المنارة والرباط، ص 608.

81- ابن البراء، المجموعة الكبرى، مج2، ص 286.

82- نفسه، الصفحة ذاتها، وهذان الفقيهان متأخران نسبيا عن الفترة المدروسة لذلك لم ندرجهما في قائمة أعلام الشاذلية في بلاد شنقيط وإنما أوردناهما فقط من باب التأكيد على شيوع سند هذا العلم المترجم.

83- عبد القادر الكمليلي، المواهب العندية في المناقب المحمدية، ورقة 1-7-11.

84- ابن البراء، المجموعة الكبرى، مج2، ص69.

85- عبد القادر الكمليلي، المواهب العندية، الورقة 11-12.

86- كل هذه الأسماء لقبائل شنقيطية زاوية(أي من أهل العلم)، وللتوسع في أخبار هذه المراكز ينظر: أحمد ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية في التصوف الشنقيطي، ص 162-164.

87- ابن البراء، المجموعة الكبرى، مج 1، ص321.

88- أحمدو ولد آكاه، الروافد الأندلسية المغربية في التصوف الشنقيطي، ص 153. وقد أورد أسماء الشاذليين من أهل القرن العشرين وهم تلامذة المختار بن ألما وأبقينا عليهم لتعم القائدة، والملاحظ في هذه السلسة حذف اسم عالم جليل وشيخ كبير هو " سيدي مولاي زيدان بن سيدي محمد بن مولاي أحمد بن مولاي عبد الكريم يتصل نسبه بعلي بن أبي طالب لأمه البتول فاطمة بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد أورد البرتلي لهذا الشيخ ترجمة مستفيضة يقول فيها بعد التعريف بنسبه أنه:" أحد الأولياء العاملين والصلحاء المتفنين، وذو جد واجتهاد، ولزوم أذكار وأوراد ... نجيبا من النجباء له كرامات عديدة، ومفاخر مجيدة...". فتح الشكور، ص 97-98. وكان مولاي زيدان هذا قد اتصل بالشيخ مولاي عبد المالك بن الشيخ مولاي عبد الله الركاني، وصحبه فترة ظهرت عليه خلالها فيوضات شيخه وبركاته وكان هو الذي أوصل ورد الشيخ مولاي عبد المالك لأهل ولاتة، أخذه عنه أعلام بارزون بما فيهم البرتلي نفسه، توفي مولاي زيدان رحمه الله في موضع إيوالن قرب اتوات سنة 1202هـ/ 1787م. البرتلي، فتح الشكور، ص 100-101. ولعل حذفه هنا جاء تلبية لرغبة الشيخ حيث كان يحبذ أن يرتبط تلامذته بالشيخ مولاي عبد المالك يقول في هذا المضمار:" إنما شيخكم مولاي عبد المالك إنما أنا رسوله أوصل لكم ورده" البرتلي، نفسه، ص 101.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © University of Nouakchott. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/92406